عالم يوناني مجهول

الاب اثناسيوس القبرصي (١٥٧١—١٦٦٣)

للاب انطون رباط اليسوعي

لا تكاد تجد في مؤلفات اليونان او الروم المحدثين ذكرًا لهذا العالم الذي خدم الدروس اليونانية خدمة قدّرها المستشرقون الغربيون حقّ قدرها. كيف لا وهو الذي اغنى مكاتب باريس باكثر من ثلاثمائة كتاب يوناني مخطوط استعان بها العلماء فنشروا كثيرًا من مصنّفات الاباء والكتبة الشرقيين وهذه الطبعات هي المعوّل عليها حتى الآن وإن سعى المدققون في ايامنا فجدّدوا نشر اكثرها بالطبع على نسق افضل انتقادًا واكمل نظامًا

ولد اثناسيوس في جزيرة قبرص نحو سنة ١٥٧١ ولما شبّ دخل في سلك الكهنة اليونان وتفرّغ للدروس والتنقيب وقد زانهُ الله بذاكرة غريبة وجلَد على القراءة والكتابة وشغف في مطالعة الكتب القديمة والحديثة وكان ذا نية سليمة يرغب في معرفة الحقائق الدينية وينفر عن الضلال والتمويه. وفي سنة ١٦٠٦ امّ القسطنطينية ليواصل ابحاثه واقام فيها نحوًا من خمس عشرة سنة. وهناك قادته الرغبة في استقراء المعارف الفلسفيَّة واللاهوتية والتمكن فيها الى قرع باب المرسلين اليسوعيين الذين جاءوا الى القسطنطينية في تلك السنين وسعوا في ضمّ الروم الى الكنيسة الجامعة. فقبل كثيرون الاتحاد بعد ان ظهرت لهم الحقيقة. ومن المرتدين الخوري اثناسيوس القبرصي او البياني كما وقع مرارًا اسمهُ Φώτιος ὁ ἐν Ἱερομονάχοις Ἀθανάσιος ونظنّهُ اغتنم هذه الفرصة فتعلّم اللغات اللاتينيَّة والايتالية والافرنسية حتى برع فيها كما تشهد لهُ بذلك رسائلهُ العديدة المكتوبة بهذه اللغات

وفي نحو سنة ١٦٣٥ نجده في عاصمة الكثلكة مواصلًا المطالعة والتاليف وفي سنة ١٦٣٩ جاء الى باريس واقام فيها اربع سنوات نشر في خلالها بالطبع ثلاثة كتب فلسفية ولاهوتية اهدى الاوّل الى سيغيه (Séguier) المهردار والثاني الى الكردينال

ريشليو (Richelieu) وزير المملكة والثالث الى اشيل دي هارله (Achille de Harlay) الذي كان سفيراً في الاستانة وبعد عودته زهد بالعالم وسيم كاهناً ثم اسقفاً على بلدة سان مالو (Saint-Malo) ونظن ان الكتب طُبعت على نفقة المهدى اليهم

وقبل الشروع بوصف رحلة اثناسيوس الى الشرق لابتياع الكتب لا بدّ من توطئة وجيزة وهي ان تلك الأيام كانت ايام غيرة على الكتب والآثار العادية فحمى الملوك والامراء والموسرون في جمع شتات المخطوطات القديمة وانشاء المكاتب والمتاحف يعتبرونها من اهمّ الوسائل لترقي المعارف والعلوم لا يبخلون بالذهب الرنّان في سبيل الحصول عليها حتى ان هذه الرغبة اضحت قاعدة او قل بالاحرى زيًّا او « مودَة » — وهذا الزي — كان لا يتمّ الجاه الّا به فلا يخلو قصر او منزل رفيع من مكتبة او متحف يليق بثروة صاحبه وكل يسعى ان يفوق على معاصريه بتمثال بديع الصنعة او مجموعة مسكوكات نادرة او مكتبة تحوي آثار عتيقة جليلة . وكان الرهبان كالبندكتيين واليسوعيين وغيرهم في مقدمة الساعين في جمع الآثار التاريخية رغبة في نشر اعمال الآباء والكتبة الاقدمين من لاتين ويونان وغيرهم وقد سبقهم جميعاً الى هذا العمل في القرنين الخامس عشر والسادس عشر نيقولاوس الخامس في رومية والكردينال اليوناني بساريون في البندقية والامراء المديسيون (Médicis) في فيرنسة والملك الافرنسي فرنسيس الاول في فونتينبلو (Fontainebleau) قرب باريس فجرى الخلف على اثار السلف . ولما انتشرت الرسالات وزاد عدد المرسلين الافرنسيين في الشرق في الثلث الاول من القرن السابع عشر ازداد التحرّي للمخطوطات والمسكوكات وكثيراً ما كان الملوك والوزراء والجمعيات العلمية يطلبون الى القناصل والمرسلين ان يختاروا لهم من الاثار اجلّها لا يضنّون بثمنها ولا يبخلون . نخص بالذكر لويس الرابع عشر والكردينالين ريشليو ومازاران (Mazarin) والوزيرين سيغيه وكولبر (Colbert)

وقد وجدنا في مخطوطات الوزارة الخارجية في باريس مرفوظاً بالايتالية كتبه الخوري سركيس الماروني سنة ١٦٤٢ الى ريشليو اشترى الكتب السريانية والعربية من جبل لبنان كما اننا قرأنا مراراً في رسائل المرسلين تلميحاً الى مشترى كتب مخطوطة في انحاء سورية لمكاتب اوربة . وقد تتابعت في القرنين السادس عشر والسابع عشر البعثات العلمية لهذه الغاية الى الشرق بهمة سياح ومرسلين لا يزال ذكرهم محفوظاً في

المكاتب العامة بالثناء نخص بالذكر بعض الفرنسيين مثل غلّان(Galland) والاب فانسلب (Wansleb) وبرلس لوقا (P. Lucas) والخوري سفين (Sevin) وفورمون (Fourmont) والآباء اليسوعيين بينيه (Besnier) وسوميه (Sou-ciet) وبسون (Besson) وهذا الاخير كان مرسلاً في حلب . فكانت نتيجة هذا السعي وهذاه النفقات جمع كثير من الآثار التي يجدها الان الشرقيون والمستشرقون في مكاتب اوربة عموماً وباريس خصوصاً ولولا جمعها لأبادتها يد الزمان كما ابادت كثيراً غيرها وذلك لقلة اكتراث الشرقيين الاقدمين باثارهم وكتبهم

ولنعُد الآن الى رحلة الاب اثناسيوس فان سيني رأى في الكاهن اليوناني رجلاً عالماً قديراً على انجاز مرغوبه في استجلاب المخطوطات اليونانية فارسلهُ سنة ١٦٤٣ الى القسطنطينية وزوّده بالف دينار (écus) مع رسائل التوصية الى السفير فسافر اثناسيوس وجعل يطوف الاديرة

قال السفير لاهي (La-Haye) في تاريخ سنة ١٦٤٤ : « ان الاب رومانوس الكبوشي الذي كان مزمعاً ان يسافر الى لبنان لشترى المخطوطات قد منعه المرض عن السفر اما الكاهن الرومي (اثناسيوس) فاني بانتظار الكتب التي وعدني بها »

وبعد سنتين ارسل اثناسيوس الى باريس ٤٦ مخطوطاً اشترى اكثرها من قبرص وحلب وما لبث ان سافر الى جبل اثوس بامر الوزير مازاران لكنه لم ينجح في سفرته لان الرهبان على ما اخبر السفير ابوا تسليم الكتب بدون إجازة البستانجي باشي القائم على احوال الاديرة . فعاد اثناسيوس الى الاستانة بعد ان اقام اربعة اشهر في جزيرة لمنوس ثم عاود رحلته مصحوباً باجازة البستانجي باشي فطاف الاديرة واشترى نحواً من ١٥٠ كتاباً نفيساً . ولم يكن الوحيد في البحث عن المخطوطات فان البطريرك نيكون الروسي ارسل ارسانيوس سوخانوف الى اثوس لذات الغاية فاخذ نحواً من ثلاثمائة كتاب هي الان في لمكتبة المجمع في بطرسبورج . ولبث اثناسيوس مدة في تراقيا وتيساليا ومقدونية وابتاع عدداً من الكتب عاد بها الى القسطنطينية وقد طالت سفراته مدة عشر سنوات . وفي سنة ١٦٥٣ اراد الذهاب الى رومية لتجديد الطاعة للحبر الاعظم فاعطاهُ السفير اجمل التوصيات مثنياً على ذكائهِ وهمتهِ وذمتهِ . ونجده سنة ١٦٥٥ في باريس حيث طبع خمسة مجلّدات جدلية اهدى منها اثنين للكردينال مبادا

(Spada) واثنين لسيفه وواحداً للملك لويس الرابع عشر

وكان قد احضر معهُ ١١٦ مجلّداً مخطوطاً اخذها سيفيه ووعده بقيمتها ولم يقم بالوعد لاسباب نجهلها فكان هذا الخلاف بينهُ وبين صديقهِ القديم سبباً لاحزانهِ في ايّامهِ الاخيرة فتوفاه الله في باريس في ١٣ اذار ١٦٦٣ ولهُ من العمر ٩٢ سنة وورث سيفيهِ اوراقهُ وهي الان مع سائر المخطوطات اليونانية التي استحصلها وعددُها ينيف على الثلاثمائة في مكتبة باريس الاهلية ومكتبة سانت جنفياف . اما مواضيعها فهي الاسفار الالهية واعمال كثير من الاباء القديسين والكتبة اليونانيين المبرزين كيوحنا ذم الذهب وباسيليوس وديونيسيوس الهليقرناسي وزوزيموس وديودورس وبوليبيوس وغيرهم

وهكذا اغتنى الغرب من كنوز الشرق ومع اسفنا لفقدان تلك المآثر من بلادنا نشكر الله على وقوعها في ايدي من قدّروا هنالك حقّ قدرها ولو بقيت في الشرق لذهبت ضحية الجهل او تقلبات الاحوال كما حدث لكثير غيرها من الكنوز العلمية والاثرية التي نجدها الآن في الغرب ولا نجدها الّا هناك . ويا حبذا لو جمع أولو الامر فتات الماضي الباقي في الزوايا او المعارض في الاسواق والّفوا منها مكاتب اهلية او طائفية لخدموا الدين والعلم والوطن افضل الخدم واشرفها

رحلة القس خدْر الكلداني

من الموصل الى رومية وما جرى لهُ في طريقهِ وفي المدينة المقدسة (تابع)

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

وفي السنة ١٧٣٠ مات البابا بنادكتوس الثالث عشر يوم الثلثاء من اوّل اسبوع الصوم الكبير في ٢١ شباط فعملوا لهُ جنّازاً فوق بالكابلّة اي في كنيسة سراية البابا (١ ثم نزّلوهُ الى كنيسة مار بطرس وكان المطارين يحملون التابوت فادخلوهُ الكنيسة بالصلوات وهو لابس لبس الكهنوت ووجههُ مكشوف ووضعوهُ في بيت السنطسو (٢

١) يريد المعبد الكبير (La Chapelle Sixtine) البديع الهندسة والنقوش والتصاوير

٢) من الايطاليّة Santissimo اي القربان الاقدس ولهُ معبد خصوصي في كنيسة مار بطرس